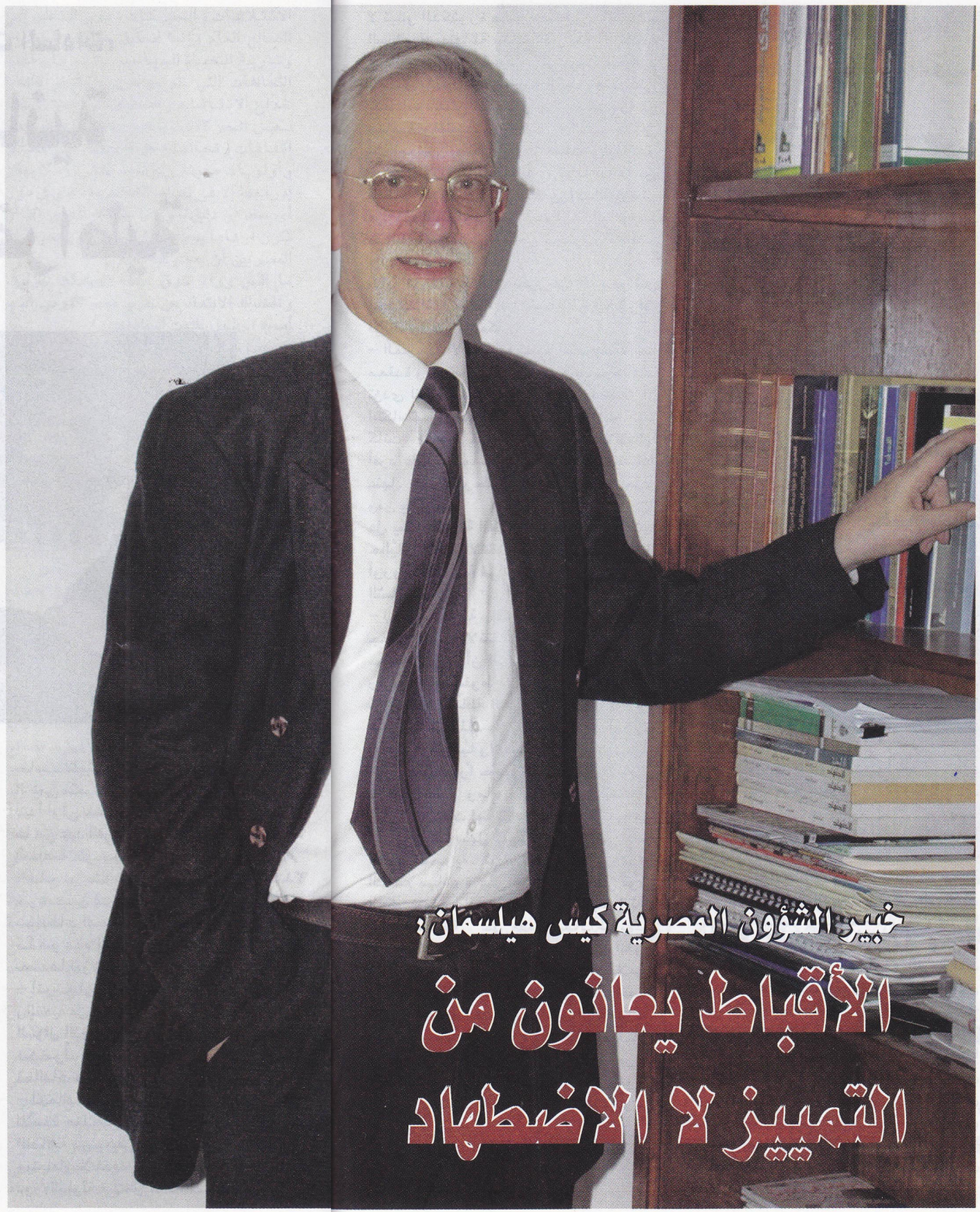

خبير الشؤون المصرية كيس هيلسمان:

الأقباط يعانون من التمييز لا الاضطهاد

«كيس هيلسمان» صحفى هولندى بارز يغطى أخبار مصر منذ العام ١٩٧٦، ويعد فى هولندا أحد المراجع والخبراء الأساسيين فى الشأن المصرى، إليه يرجعون فى جلسات البرلمان، ومنه يتعرف قطاع كبير من الرأى العام فى هولندا عما يجرى فى مصر وما يجرى لمصريين فى مكتبه الصغير الذى يصدر منه نشرته المعروفة «Arab-West Report» الذى يرأس تحريره التقيته ودار الحوار التالى..

أنت تتابع الشأن المصرى منذ العام ١٩٧٦.. فهل توقعت فى أى وقت أن يثور المصرى المسالم على النظام الحاكم؟

– لم أكن أتوقع ثورة لم يتوقعها المصريون أنفسهم وقد كنت فى أحد المطاعم بشارع الإبراهيمية بالإسكندرية فى يوم ٢٥ يناير «كانون الثانى»، وحين بدأت المظاهرات سألت صاحب المحل عن الذى يجرى، فاكتفى بوصف المتظاهرين بأنهم مجرد «غلابة»!

كنت فقط أرى وأسجل التصاعد المستمر فى غضب المصريين وإحباطهم من نظام مبارك، لكن معرفتك بوجود الإحباط شىء ومعرفتك بموعد انفجاره شىء آخر. وأذكر أننى حين ذهبت لنجع حمادى فى ديسمبر «كانون الأول» ٢٠١٠ أى بعد عام من مذبحة الكنيسة هناك، كنت أتوقع – عندما ذهبت للقاء بعض الأسر المسيحية – أن تتركز شكاواهم على الظلم الطائفى الواقع عليهم، لكن ما سمعته كان غضباً وسخطاً على أوضاعهم الاقتصادية، قلة فرص العمل وتدهور الدخل وارتفاع الأسعار إلخ وبعد زيارتى لنجع حمادى فوجئت بأمن الدولة يستدعينى ويسألنى عن زيارتى وما سمعت.. فلما قلت لهم إن الناس غاضبون ومحبطون من البطالة والفقر، فوجئت بأحد الضباط يلقى باللوم عليهم ويقول: «إزاى واحد طويل وعريض ويشكو من البطالة.. ما يشتغل أى حاجة!»

لكن نظام مبارك كان يتداعى أمام الجميع؟

– صحيح ولذلك كنت أتوقع حدوث قلاقل بعد وفاة مبارك، لكن لم أتوقع أبداً ثورة بحجم ثورة ٢٥ يناير «كانون الثانى» فى حياته.

لديك اهتمام كبير بتغطية كل المشاكل الطائفية وكتبت باستفاضة عن أسباب وملابسات كل الصدامات الدينية فى السنوات الأخيرة.. وسؤالى: هل هناك اضطهاد للمسيحيين فى مصر؟

– لا يوجد اضطهاد ولكن هناك تفرقة، أى أنه يتم أحياناً التمييز ضدهم فى ظروف مختلفة ومواقع متعددة.

وما أكثر الأسباب المباشرة وغير المباشرة التى تؤدى لاشتعال العنف بين المسلمين والمسيحيين؟

– العوامل المباشرة اثنان لا ثالث لهما.. تحول أحد أتباع الديانتين للديانة الأخرى «ويدخل

حوار سيد جبيل

تحت هذا العامل العلاقات العاطفية بين أتباع الديانتين». والسبب الثانى بناء الكنائس. أما الأسباب غير المباشرة فهى غياب الحكومة قبل الثورة وبعد الثورة وتركها الأزمات تتفاقم حتى تصل إلى الانفجار، ومحاولة المسيحيين تغيير الوضع القائم. فمثلاً أحداث «أبوفانا» فى المنيا فى العام ٢٠٠٨ اندلعت بسبب خلاف على ملكية أرض غير مسجلة كل طرف يدعى ملكيتها، ولو كانت الحكومة حسمت المسألة وسجلت الأراضى ونظمت ملكيتها ما كان ممكناً للصدام أن يحدث أصلاً، وقس على ذلك حوادث كثيرة، وتعتبر أحداث مارينا فى أسوان مثالاً جيداً على العنف الذى ينشأ حين يحاول المسيحيون تغيير الأمر الواقع.. فقد كان يصلون لسنوات فى مكان بحجم حجرة تقريباً لكن هذا المكان كان منزلاً وليس كنيسة، والمشكلة بدأت حين قرر المسيحيون تحويل الحجرة إلى كنيسة دون التشاور مع أحد، وبالمناسبة كتب عضو فى البرلمان الهولندى اسمه «دى رووم» تقريراً مهماً – فى ديسمبر «كانون الأول» الماضى عن تعرض الأقباط فى مصر للاضطهاد. وفى هذا التقرير تحدث «دى رووم» تحديداً عن أحداث ماسبيرو ومارينا فى أسوان ورددت عليه فى مقال كتبته هناك معترضاً على وجهة نظره الأحادية التى تصور المسلمين مخطئين طوال الوقت.

«الإخوان» يستخدمون «حبيب» كواجهة لا أكثر

وهذا ليس صحيحاً فبعض قرارات المسيحيين تكون غير موفقة ومنها مثلاً دير الأنبا «بيشوى».. الذى قام المسيحيون فيه بتوسعة سور الدير على أراضى الجيش رغم أن ذلك ليس حقاً لهم، كما أنهم علموا برفض الجيش هذه الخطوة ومع ذلك شرعوا فيها.

هل تقصد أن الأخطاء مشتركة بين الطرفين وليست مقصورة على المسلمين؟

– نعم، فهناك تفرقة تتم ضد المسيحيين.. هذا يقينى.. ولكن لا يوجد اضطهاد للمسيحيين.. فنظام مبارك كان يقوم على أساس اضطهاد الأغنياء للفقراء مسلمين ومسيحيين. ومن خلال تجربتى فإن بعض المسيحيين يعرض كثيراً من المظالم التى يتعرض لها باعتبارها دليلاً على وجود اضطهاد، بينما هى فى الحقيقة دليل اضطهاد لكل المصريين «الغلابة» سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، ذات يوم جاءنى موظف مسيحى بسيط فى شركة يشكو من تجاهل مكتب الرئاسة – أيام مبارك – لطلب مشروع له بالموافقة على سفر ابنته للعلاج فى الخارج.. فقلت له: هل تعتقد أن أى زميل آخر لك من المسلمين كان سيلقى الاهتمام الذى حرمت منه؟ وهل تعتقد لو أن أحد أفراد بطرس غالى – وقتها كان وزير المالية – هو الذى تقدم بالطلب كان يمكن تجاهله؟! ما أقصده أن نظام مبارك – خصوصاً فى سنواته الأخيرة – كرس لاضطهاد الأغنياء والقادرين للفقراء والمهمشين، ولا علاقة لذلك بالدين.. مع تسليمى أن بعض الأقباط يعانون أكثر لكونهم فقراء ومسيحيين.

بصفتك باحثاً وصحفياً غربياً إلى أى حد يثير صعود الإسلاميين مخاوف الغرب؟

– الغرب خائف وقلق جداً، وإسرائيل تلعب دوراً فى زيادة هذه المخاوف، والإسلاميون من جانبهم لا يبذلون مجهوداً يذكر لتخفيف هذا القلق.. أذكر أننى ذهبت للقاء بعض قادة الإخوات المسلمين فى يونيه «حزيران» الماضى، وطلبت منهم إصدار بيان لإدانة العنف الطائفى وطمأنة المسيحيين فرفضوا متعللين بأن ذلك ليس دورهم ولا شأنهم.. نفس هذا الرد كنت قد سمعته من أحد شيوخ الأزهر، وهو عبدالمعطى بيومى فى منتصف التسعينيات بعد الهجوم على فندق أوروبا فى شارع الهرم.. وبالمناسبة حين ذهبت للتحدث مع الإخوان كان ذلك أثناء لقاء عام فى محافظة الشرقية ولفت نظرى وضع اسم نائب حزب الحرية العدالة رفيق حبيب ببنط ضخم، وعندما سألت عنه لم أجده وشعرت

٤ أسباب وراء التوتر الطائفى أهمها غياب الحكومة

أنهم يستخدمون اسمه فقط كواجهة ليس أكثر.

لكن ما سر التركيز الشديد على تغطية المشاكل الطائفية فى مصر؟

– لا يوجد سر أنا مهتم فى المقام الأول بالمشاكل الاجتماعية الناجمة عن الفقر، ومندهش من حجم التفاوت الاجتماعى بين الناس فى مصر، ولا أتخيل كيف يمكن لأى شخص أن يحكم بلداً يعانى من هذا التفاوت الهائل فى الحظوظ. والمسيحيون مثل المصريين وكل ما أتمناه أن أراهم جزءاً من المجتمع المصرى وليس جزراً معزولة.

بمناسبة الحديث عن المصريين ما أفضل صفات المصريين وأسوأها من خلال تجربتك الطويلة فى مصر؟

أفضل صفات المصريين هى كونهم ودودين ومسالمين بشكل لافت، وهم بطبيعتهم غير متحفظين ويعبرون عن آرائهم بتلقائية لكل من يقابلهم.. أما أسوأ صفات المصريين فهى المبالغة الشديدة وخصوصاً فى الأرقام، وقد وقع عدد كبير من الصحفيين الغربيين ضحايا لهذه المبالغة، وقد تعلمت بالخبرة أن أدقق كثيراً فيما أسمع خصوصاً الأرقام! ■